تمكين المرأة بواسطة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

منتدى المرأة العربية والمستقبل(NAWF)
23 و24 تشرين الأول 2008
فندق "فينيسيا إنتركونتيننتال"، بيروت

الدكتور كمال شحادة
رئيس مجلس الإدارة والمدير التنفيذي
"الهيئة المنظمة للاتصالات"

شهدت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، التي تشمل أجهزة الاتصال أو تطبيقاته، مثل الإذاعة والتلفزيون والهواتف الخلوية والكمبيوتر وأجهزة الشبكة وبرمجياتها، وأنظمة الأقمار الاصطناعية وما إلى ذلك، تطوراً سريعاً جداً خلال العقد الماضي، مع إنتاج التكنولوجيات الجديدة على أساس يومي تقريباً. بيد أن النساء ـ في البلدان النامية على وجه الخصوص ـ لم تستفد بالكامل من هذه التكنولوجيات الجديدة.

وبالتالي، تكمن أهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات اليوم في تطور التكنولوجيا نفسه بدرجة أقل من إمكانية تأمين مجال أرحب للحصول على المعلومات والاتصالات في أوساط الفئات المحرومة والسكان الذين يعانون نقصاً في الخدمات. وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات هي الوسيلة اليوم لسدّ هذه الفجوة الرقمية، بما يساعد النساء المحرومات على زيادة مشاركتهن في العمليات المدنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

إذ تتّسم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بالقدرة على الوصول إلى تلك النساء اللواتي لم تصل إليهن أي وسيلة من وسائل الإعلام الأخرى، وبالتالي تمكينهن من المشاركة في التقدم الاقتصادي والاجتماعي، واتخاذ قرارات واعية بشأن القضايا التي تؤثر في حياتهن. ويمكن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أن تتيح في أيدي النساء قدراً أكبر من السيطرة، إبتداءً من توزيع المياه على المستوى القروي، وصولاً إلى الترشّح للانتخابات المحلية والحصول على فرص التعلم مدى الحياة.

وعلى هذا الأساس، يمكن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أن تُستخدم إما لتفاقم أو لتحوّل علاقات القوة غير المتكافئة. ولا يمكن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أن تحقّق المساواة بين الجنسين، أو أن تضع نهايةً للفقر، لكن بمقدورها أن تكون أداةً للعمل الاجتماعي والتغيير الإيجابي.

في ضوء ذلك، ما هو دور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمرأة؟ وكيف يمكن تحفيز وتعميق المعرفة التقنية والخبرة لدى النساء المهنيات؟ وما هي السياسات التي يتعيّن إرساؤها، وما هي الخطوات التي ينبغي اتخاها لتوسيع انتشار نماذج الأداء الجيّد؟

تُظهر التجارب الدولية والإقليمية أن النساء اكتسبن المزيد من الاحترام في مجتمعاتهن المحلية، بسبب مهاراتهن المكتسبة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المركز، حيث تعلّمن استخدام الكمبيوتر وتجميع المعلومات وتوزيعها على السكان المحليين. وأدى ذلك إلى مزيد من الاحترام على مستوى الأسرة والمجتمع.

وقد شعرت النساء الأصغر سنّاً بقدرتهنّ على مقاربة سوق العمل بثقة أكبر من ذي قبل. فقد أعانهنّ اكتساب مهارات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على إيجاد فرص عمل وزيادة الدخل، فأصبحت المرأة أكثر إبداعاً، وتمكّنت من إحراز التضامن بين النساء داخل المجتمع.

وبالإضافة إلى ذلك، استفادت النساء من العديد من خدمات الحكومة الإلكترونية، لا سيما في معاملات تسجيل الأراضي والناخبين وطلبات الترخيص. وقد استفدن خصوصاً من الخدمات المتوافرة على شبكة الإنترنت (online)، والتي، بخلاف ذلك، تتطلب السفر إلى العاصمة أو الاستعانة بالوسطاء.

كما استُخدمت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كعامل تغيير في تمكين المرأة من المشاركة بصورة مباشرة في السياسة والحياة المدنية؛ فقد فتح نظام التصويت الإلكتروني الطريق أمام مشاركة المرأة المباشرة، والتي لا تزال مقتصرة حتى الآن على أشكال المشاركة التمثيلية، حيث لا تتمثل النساء تمثيلاً كافياً.

إن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات هي ميدان يصبح أكثر قبولاً واعتماداً عليه في الوطن العربي كوسيلة حاسمة باتجاه التنمية الاجتماعية والاقتصادية. لكنها أيضاً مجال يتعرض فيه النساء والفتيات لخطر الاستبعاد من الفرص الكامنة، بسبب الفقر والأمية وعدم كفاية فرص الحصول على التعلّم والتدرّب وعدم كفاية الوقت، نتيجةً لأدوارهن المتعددة داخل الأسر والمجتمع.

إن فرص وصول المرأة في الدول العربية إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، واستخدامها لها، لا تزال متخلفة وتسبب اتساع الفجوة الرقمية بين الجنسين. ذلك أن عدد النساء منخفض إلى حدّ 4 في المئة من مستخدمي الإنترنت في الدول العربية، وهي نسبة من أدنى المعدلات في العالم من حيث الكمّ (إحصاءات الإنترنت في العالم، 2006).

بيد أن هناك مجموعة من الشروط المسبقة اللازمة لتحقيق قدرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأداة تمكين اجتماعية واقتصادية وسياسية للمرأة:

1 ـ تحرير سوق الاتصالات
2 ـ إمكانية الولوج إلى المعلومات بدون أي تمييز بين الجنسين
3 ـ الحرية لإنتاج المحتوى وحرية التعبير
4 ـ الاستثمار في تنمية الموارد البشرية
5 ـ الحصول على خدمات الاتصالات بأسعار معقولة
6 ـ التعليم والتدريب ونشر التوعية
7 ـ التخطيط الوطني لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وإطلاق المبادرات الخاصة بها

إن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لهي أداة قوية بيد النساء للتغلب على التمييز، ولتحقيق المساواة الكاملة، والرفاه، والمشاركة في القرارات التي تؤثر في نوعية حياتهن ومستقبل مجتمعاتهن.

فعلى سبيل المثال، تُعدّ هذه التكنولوجيا عاملاً مساعداً في تحقيق جميع الأهداف الإنمائية للألفية (هيئة الأمم المتحدة 2000)، وتعزيز جهود الحدّ من الفقر، وتحسين نوعية الحياة في الدول النامية. وتشمل بعض أهداف الألفية القضاء على الفقر المدقع والجوع، وتحقيق تعميم التعليم الابتدائي، وتعزيز المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، وتخفيض معدل وفيات الأطفال وتحسين صحة الأمهات، ومكافحة الإيدز وضمان الاستدامة البيئية.

وللنساء دور مركزي في تحقيق هذه الأهداف، نظراً لحقيقة كونهنّ يتوسطن عملية التنمية في المجتمعات، فهنّ المسؤولات عن التغذية الأسرية، وتشكلن غالبية الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة البشرية في أفريقيا، وهنّ المديرات البيئيات المهمّات في المجتمعات المحلية.

على مدى العقدين الماضيين، تزايدت معدّلات نشاط النساء في قطاع الأعمال الحرة، إذ تمتلك النساء في الاقتصادات المتقدمة أكثر من 25 في المئة من مجموع الشركات. إذ يتزايد عدد الشركات التي تملكها النساء في أفريقيا وآسيا وأوروبا الشرقية وأميركا اللاتينية، بسبب إدخال واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في حياتهن اليومية. ذلك أن هذه التكنولوجيا تمكّن النساء من الاطلاع على خدمات الاتصالات، وخدمات البث ووسائل الإعلام، والتي، من حيث العائد، تخلق أسواقاً لمنتجاتهن وخدماتهن.

لقد مكّن الوصول الأفضل لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والانتفاع من فوائدها، النساء من تحسين قدرتهن على المنافسة. غير أن العديد من الخطوات يتعيّن اتخاذها لتطبيق تمكين المرأة العربية بواسطة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، في سبيل التوصل إلى أفضل نماذج الأداء.

ومن يدري؟ ربما ستكون المرأة العربية يوماً ما قادرة على بلوغ التجربة اليابانية، حيث تشكل النساء أربعة من أصل كل خمسة من أصحاب مؤسسات الأعمال الصغيرة، أو التجربة الصينية، حيث تقود النساء 25 في المئة من مبادرات الشروع في الأعمال التجارية الجديدة.

وقد نصل في حياتنا إلى مرحلة، حيث لا تعود قضايا عدم المساواة بين الجنسين، ومعايير التقييد الثقافية والاجتماعية، وانخفاض مستويات التعليم، أسباباً لاحتجاز النساء، ولا تبقى هذه المسائل موجودة كي تعوّق تطورهنّ. وكلنا أمل بما سيحمله المستقبل.